(المحاضرة الخامسة)

جامعة الانبار / كلية الآداب

قسم التاريخ

محاضرات

في الشرق الأدنى القديم

سورية (بلاد الشام)

المرحلة الثانية

الاراميون

لايعرف بالضبط معنى كلمة ارامي على وجه الدقة ،وهناك بعض العلماء من يعتقد ان الكلمة تعني الهضبة او الارض المرتفعة أو تعني مجرد ارض.والآراميون فرع من الشعوب الجزرية (السامية او العربية القديمة). وقد بدأت هذه الاقوام هجراتها

وتحركاتها البشرية الكبرى بحدود عام 1300 – 1100 ق.م حيث تنقلت من مناطق شمالي الجزيرة العربية واستوطنت في بلاد الشام ثم انتشرت بعد ذلك في بلاد الرافدين وبخاصة المناطق الشمالية (منطقة الجزيرة) ثم توسع انتشارهم تدريجيا نحو وسط وجنوبي العراق.

تكلم الآراميون هؤلاء باللغة الارامية وهي فرع من اللغات الجزرية (العربية القديمة) واستخدموا الحروف الهجائية التي طوروها عن اسلافهم الكنعانيين ،وكانوا يستخدمون في الكتابة اوراق البردي التي يكتب عليها بريشة وصبغ او وحبر خاص، وقد انتشرت الكتابة الارامية والثقافة الارامية جنبا الى جنب مع الكتابة المسمارية التقليدية واصبح للكتبة الاراميين مكانة متميزة في البلاط الاشوري ، وقد تفرعت من اللغة الارامية كثير من اللهجات التي كانت متداولة في العراق وبلاد الشام .

وتجدر الاشارة الى ان ثقافة وعادات وتقاليد هؤلاء الاقوام لا تختلف كثيرا عن سابقيهم من الاقوام الجزرية الكنعانية والآمورية والأكدية لأنهم ينتمون الى اصل مشترك واحد .

انشأ الاراميون ممالك متعددة في العراق وبلاد الشام كانت احيانا تتمتع باستقلال تام واحيانا تكون تابعة للمصريين وبخاصة ممالك جنوبي بلاد الشام كما كان بعضها تابعا للاشوريين او للحثيين وبخاصة ممالك وسط وشمالي بلاد الشام . وبسبب تلك التبعيات السياسية فقد تميزت تلك المرحلة من تاريخ الاراميين بكثرة الاحلاف السياسية والعسكرية فيما بين تلك الممالك والامارات، كما تميزت بكثرة الحروب والصراعات فيما بينها .

ورد ذكر اسماء كثير من الممالك الارامية في النصوص المسمارية الاشورية كان من اشهرها قبيلة ألاخلامو (او الاحلامو) وقبائل السوتو (او السوخو) الذين استوطنوا مناطق شمالي الفرات قرب مدينة عنة .ومن القبائل الاخرى المشهورة في تاريخ العراق القديم قبيلة (كلدو) التي استوطنت جنوبي بلاد الرافدين منذ القرن الحادي

عشر قبل الميلاد وأسسوا لهم مشيخات او امارات متعددة وكان من اهم شيوخها المدعو نبوبلاصر مؤسس المملكة البابلية الحديثة وابنه الشهير نبوخذنصر .

اهم الممالك الارامية

مملكة دمشق (دمشاق)

من اهم الممالك الارامية التي تشكلت في بلاد الشام بحدود القرن الثاني عشر قبل الميلاد هي مملكة دمشق .ومن الجدير بالذكر فان منطقة دمشق كانت مستوطنا مهما يرجع تاريخ السكن فيه الى نهايات العصر الحجري الحديث وبقيت على اهميتها تلك بسبب موقعها المتميز وبسبب نشاطاتها التجارية والزراعية .

استوطن الاراميون هذه المدينة وأسسوا فيها مملكة مهمة .وقد ورد ذكر هذه المملكة في كتابات فراعنة مصر وبخاصة في رسائل تل العمارنة من زمن الملك اخناتون ثم ازداد ذكرها في كتابات الملك رمسيس الثاني .

اما معنى اسمها فقد اختلفت الاراء بشأنها فمنها ان الاسم مركب من كلمتين هما (در أو دار) اي حصن وكلمة (مشق) وهو اسم احد الاله أو اسم احدى العشائر أو الاقوام التي استوطنت في المنطقة .

اشتهرت مملكة دمشق في نهايات القرن الحادي عشر قبل الميلاد عندما مدت نفوذها وسيطرتها على كثير من الممالك الارامية الاخرى حيث امتدت رقعتها من الفرات والى بحيرة طبرية في فلسطين ،وكانت بينها وبين الممالك الاخرى حروب وصراعات مستمرة ،وقد سقطت هذه المملكة على يد الملك الاشوري تجلات بلاسر الثالث عام 732ق.م

مملكة شمأل

تأسست هذه المملكة في القرن العاشر قبل الميلاد في منطقة شمال بلاد الشام قرب مدينة انطاكيا الحالية وكانت تتالف من عدد من دويلات - المدن كانت من اهمها(بيت اديني)وعاصمتها بارسيب التي تعرف بقاياها حاليا باسم تل الاحمر،التي تقع بقاياها على الضفة الشرقية لنهر الفرات جنوب كركميش(جرابلس)عند الحدود التركية السورية.

وقد سيطرت هذه المملكة على الاقاليم الشمالية لبلاد الشام وكانت لها علاقات تجارية وسياسة مع الحثيين حيث يلاحظ تاثيرات الحثية واضحة على طرز مبانيها وفنونها.وقد سقطت هذه الدويلة على يد الاشوريين واتخذها الملك شلمنصر الثالث حصنا وقاعدة متقدمة لقواته وشيد فيها قصرا مهيبا زينت جدرانه برسومات جدارية ملونة.

فدان ارام

ومن الدويلات الارامية الاخرى هي دولة ارام نهرايم ودويلة فدان ارام وعاصمتها مدينة حران المشهورة وكانت محطة تجارية مهمة تقع على طريق القوافل القادمة من بلاد الرافدين وجنوبي الاناضول والذاهبة الى بلاد الشام وسواحل البحر المتوسط وكانت في السابق مركزا مهما لعبادة (سين) اله القمر لدى الشعوب العربية القديمة.

لقد انتهت كل هذه الدويلات على يد الاشوريين في العصر الاشوري الحديث عندما ضموا بلاد الشام الى سلطانهم واصبحت جزءا من المملكة الاشورية.

علاقة بلاد الشام مع بلاد الرافدين

ان تاثير حضارة بلاد وادي الرافدين على بلاد الشام كانت واسعة وشاملة وذلك لان بلاد الشام كانت في حقيقتها جزءاً لا يتجزأ من أرض الرافدين ، حيث يسكنهما قبائل ذات أصُول واحدة وتسودها لغة وثقافة مشتركة بالاضافة إلى توحدها

جغرافيا مع عدم وجود حواجز طبيعية بينهما ، بل بالعكس كان نهر الفرات أحد العوامل التي ساهمت في ربط الاقسام الشرقية من بلاد الشام مع بلاد الرافدين .

لقد انتشرت المظاهر الحضارية العراقية في بلاد الشام منذ عصور موغلة في القدم ترجع إلى عصر سامراء وحلف ثم العبيد في العصر الحجري الحديث ، كذلك فقد عثر على مستوطنات ترجع بزمنها الى عصر الوركاء في مناطق وسط وشمال بلاد الشام . وتذكر النصوص المسمارية منذ عصر فجر السلالات وما بعدها وصفاً مسهبا للرحلات التجارية التي قام بها ملوك وامراء بلاد الرافدين مع بلاد الشام وجلبهم الاحجار واخشاب الأرز من غاباتها ، وان بعض نصوص ملحمة كلكامش كانت تدور في أراضيها .

وفي العصر الاكدي يذكر الملك سرجون الاكدي ثم نرام سين فتوحاتهم في بلاد الشام وانهم غسلوا اسلحتهم في البحر العلوي دلالة على وصولهم إلى سواحل البحر المتوسط . وقد كشفت التنقيبات عن حصن كبير يعود للملك نرام سين في تل براك شرقي بلاد الشام ، شيد لغرض السيطرة الاكدية على تلك المناطق .

وفي زمن كوديا فان النصوص المسمارية الخاصة بهذا الامير تذكر جلبه لخشب الأرز لبناء معابد مدينة كرسو (في محافظة ميسان حالياً) وكذلك قام بجلب الاحجار المختلفة لعمل التماثيل وغيرها من المواد.

وفي العصر البابلي القديم شهدت بلاد الرافدين نزوح هجرات بشرية واسعة من بلاد الشام إلى العراق ، وقد اطلق السومريون على تلك الشعوب تسمية مارتو والتي يقابلها في اللغة الاكدية كلمة امورو بمعنى الاقوام الغربيين (اي الذين يستوطنون غرب العراق) ، وقد أسس هؤلاء الأموريين سلالات حاكمة مهمة منها مملكة اشور ومملكة بابل القديمة والتي كان من ملوكها الملك حمورابي الشهير . وتبدأ الحملات العسكرية المنظمة على بلاد الشام منذ العصر الآشوري الوسيط ومنها حملات تجلات بلاسر الاول الذي سيطر على معظم أراضي وسط بلاد الشام

المصادر:

١. سليمان ، عامر وأحمد مالك الفتيان، محاضرات في التاريخ القديم (الموصل، جامعة الموصل، ١٩٧٨ م) ص٣٢١ – ٣٢٣.
٢. باشميل ، محمد أحمد، العرب في الشام قبل الاسلام (بيروت: دار الفكر، ١٩٧٣ م) ص١٣.